

باب الكتب الجديدة

جان كازنوف : نفسية الأسير [دار الطبع الجامعية بفرنسا . باريس سنة ١٩٤٥]

Jean Cazeneuve : Psychologie du Prisonnier de Guerre . (Presses Universitaires de France — Paris 1945) .

ليس صديقنا الأستاذ جان كازنوف مدرس الفلسفة وعلم النفس الاجتماعي بجامعة فاروق الأول ، في حاجة لمن يقدمه لقراء مجلة علم النفس الأفاضل ، ونكتفي الآن بالتنبيه إلى أن حضرته ، وهو حائز على أرفع الشهادات الجامعية الفرنسية ، قد أمضى خمس سنوات من حياته في معسكرات الأبر بآلمانيا ، وتخصص من وقته هذا ما استطاع للدراسة والبحث ، والعمل والتأليف . وقد حدثنا بعض من كان معه من الضباط الفرنسيين ، بأنه كان نادر الكلام ، قليل الاتصال بزملائه ، لا يشترك في مناقشتهم ولا يقبل على اجتماعهم الفلسفية أو العلمية . وإنما كان معتكفاً في مخدعه ، عاملاً على المطالعة والاختلاء لنفسه . ويغاب على القان أنه كان يقضي وقتاً طويلاً في ملاحظة من كان حوله وفي الاستماع خلسة لأحاديثهم ، لعله يستقي من حيث لا يدرون معلومات لبحث شخصي . وها نحن ذا نقدم لقراء مجلة علم النفس المصرية ثمرة تلك الملاحظات والتأملات ، سفرأ فلسفياً فرنسياً بعنوان : « نفسية الأسير » ، طبع مرة أولى بباريس في عام ١٩٤٥ ، ورة ثانية في عام ١٩٤٦ .

ومن الصعب علينا أن نحدد مبدئياً لأي طائفة من بحوث علم النفس يتنى كتاب الأستاذ كازنوف . وقد نجازف لو قلنا إنه عمل فيلسوف أكثر منه بحث سيكولوجي ، بما أن المؤلف يعمل باستمرار على استخدام الكلمات الفلسفية في معان تحددها تجربة الإنسان وحدها ، وبعد مقارنة هذه المعاني بتجارب متعددة . وقد نكون ظالمين أيضاً لو أننا اعتبرنا كتابه تعبيراً منظماً منسقاً عن تجربة شخصية عينية لا قيمة علمية لها على الإطلاق : — نرى المؤلف يوضح من المبدأ المنهج

الذى يعزم اتباعه في البحث . وهذا المنهج استدلالى ووضعى في الوقت ذاته ، ولكنه ليس استقرائياً بأى معنى من المعانى : يرى حضرته إلى تحديد عناصر « نفسية الأسير » مع مراعاة ما يجب قبوله من النتائج لو فرضت العناصر المذكورة ، ثم يرى من ناحية أخرى إلى الوقوف على مركب الأسير في وحدته الحيوية ! أى أنه يكشف بفضل الملاحظة والاستنتاج عن عوامل مشتركة بين الأسرى ، ثم يتحقق بفضل الحدس والشعور الباطنى من صحة ملاحظاته واستنتاجاته .

ويسرنا أن نرى في الجزء الأول من الكتاب ، وهو أكبر الجزأين حجماً وأقربهما إلى الحقيقة العلمية ، ملاحظات دقيقة ممتعة تدعم الفروض التى يضعها المؤلف للكشف عن عناصر الأسير . يبدأ حضرته بالتكلم عن آلام الأسير وشعوره بالحرمان المتصل ، وعما يفرض عليه من موانع ، ويدرس طبيعة اللذة بمناسبة الألم ، كما يربط تحليله للذة والسرور بإدراك القيم وإصدار الأحكام القيمة ، ثم بإرادة النفس وحريتها . وينتقل المؤلف بعد هذا إلى الكلام عن أفق الأسير المحدود ، مشيراً إلى مرض خطير يعرف باسم *psychose des barbelés* أى ذهان الأسلاك الشائكة ، أخص أعراضه شعور الأسير باستحالة خروجه أبداً من المجال الضيق الذى يعيش فيه وبازدياد ضيق هذا المجال شيئاً فشيئاً ، وهذا الشعور لا يخف مع مرور الزمن بل يتضاعف عنفاً وقوة . ويجد المؤلف عند الكلام عن حرمان الأسير من الجمعية النسوية ، الفرصة سانحة لمناقشة النظرية الفرويدية للغريزة الجنسية ، ولانتقادها انتقاداً شديداً ، مبيناً ضرورة التمييز بين الشعور الجنسى الصميم وبين شعور الرجل نحو المرأة بوجه عام ، بين ما سماه المحللون « إعلاء العواطف » ، وبين ما يجب اعتباره جزءاً لا يتجزأ من العواطف الموجهة نحو المرأة في شخصيتها الروحية .

ومن أبرع فصول الكتاب ما خصصه المؤلف من صفحات لشعور الأسير بغرابته وتأنيبه عن العالم ، كما لو كان للرجل جذور نفسية تربطه بالأرض والمجتمع وانتزعت عنه عند الأسر انتزاعاً . ويتبين الأسير في محاولته استرجاع شئ من ماضيه ومن اتصالاته الماضية بالمجتمع ، أن شخصيته غير الإطارات الاجتماعية ، وأن الأسر أفضل المناسبات لاكتشاف الشخصية على وجه لم تظهر عليه من قبل : يبدو كما لو كان جوهر النفس يمثل خالياً من أى تعيين أو صفة أو قيمة ، فتشعر النفس في هذا الفراغ بأنها صاحبة القيم وبأنها مبتكرة لها على الدوام . ويوجه المؤلف

انتباهنا في النهاية إلى عامل الانتظار في نفسية الأسير ، ممبياً إياه عن التوقع ، ويوضح كيف يتقوى الانتظار فيصبح أملاً ، وكيف يتوطد الأمل فيصير إيماناً ، وكيف أن النفس ترحب في حالها هذا بما يقربها من الدين والاعتقاد بالخلود وبالوعد والوعيد .

وبعد انتهاء المؤلف من إحصاء عناصر نفسية الأسير ، عمل في صفحات مركزة عسيرة الفهم على تعيين مركب الأسير في ذاته . ولا شك عندنا في أن تجربة المؤلف الشخصية قد أعدته أتم الإعداد لحدس هذا المركب . ولا جدوى الآن من مناقشة نظريات المؤلف الفلسفية ، ولا لعرض رأيه فيما يقوم من نضال بين الحرية وبين ضرورة ربط هذه الحرية بالواقع . وإنا نجد في صفحات الجزء الثاني من الكتاب شطحات ممتافيزيقية لا مسوغ علمياً لها ، ولا نستطيع إذن اتباعه فيها . غير أن المؤلف لم يقف عند الشطحات والمجازفات ، بل عمل من حين لآخر على الرجوع للتجربة والتفصيل الواضح الدقيق ، كما هو الحال في فصله عند الضجر . يميز في هذا الفصل بعد برجسون بين الزمن الحى والزمن الموضوعى . فيجد عند الأسير شعوراً متصلاً بقيام نسبة بين الزمنين ، فبينما يقصر الزمن الحى ويتضاءل وينكمش يطول الزمن الموضوعى ويمتد ، وتضيق بهذا الحياة النفسية كلها . وللمؤلف في نفس الفصل صفحات قيمة عن اللهو واللعب والفن ، يصح الاعتماد عليها في تكوين نظرية قوية عن السلوك الإنسانى اللاغائى .

وإن كنا نأخذ على المؤلف تسرعاً لا تبرره بحوث علم النفس الحاضرة ، وتفلسفاً لن يشجع الكثير على اتباع طريقه في التحليل ، إلا أنه من واجبتنا حقاً أن نشكر المؤلف على الكتاب وأن نشكر المؤلف بمجهوداً في ميدان شاق ، قام به في ظروف شاقة ، وأن نعجب بشجاعته وسمو فكره ، وخاصة عند ما نطالع الكلمات الآتية التى يختم بها كتابه : « لربما لزم أن تسحق التوائب الإنسان صمغاً حتى يرفع بصره إلى السماء ، ولربما وجدنا في آلام الأسير أقوى دليل على حرية الإنسان » .

نجيب بلدى

ثلاثة كتب جديدة في علم النفس

الإحصاء في التربية وعلم النفس — تأليف الدكتور القوصى والأستاذ حسن حسين ،

١٦٠ ص ، مكتبة النهضة ، ١٩٤٩

هذا مؤلف كنا في مسيس الحاجة إليه ، إذ كثر الكلام في علم النفس وموضوعاته دون العناية بالمنهج ، والمنهج الإحصائي يحتل منزلة كبيرة في علم النفس ، ويكفي أن نقول إن كثيراً من أئمة علم النفس ساهموا في تكوين علم الإحصاء ، أذكر منهم على سبيل المثال شارل سبيرمان وهولزجر وسيرل بيرت ، وثرستون وجودفري طومسون ، وغيرهم ، فهؤلاء جميعاً لا يدعون أنهم علماء رياضة ، أو علماء إحصاء ، إلا أن مدى مساهمتهم في علم الإحصاء يعترف بها الإحصائيون وأذكر منهم بيرسون وايتكن Aitken وغيرهم .

فلا غرو إذن ، أن نرى مؤلفاً في الإحصاء بقلم أستاذ في علم النفس وأستاذ مساعد في الإحصاء ، والكتاب يمتاز بأنه طرق الطريقة الإحصائية في علم النفس والتربية بأسلوب لبق شيق إذ لا يجد القارئ أرقاماً أو رموزاً إلا بعد الفصل الخامس من الكتاب ، ولعل شعور المؤلفين بأنهما يطرقان موضوعاً علمياً فيه شيء من جفاف العلم هو الذي جعلهما يلجآن هذا المسلك اللبق الشيق .

وفي هذه الفصول الأولى يجد القارئ دفاعاً مجيداً عن الطريقة العلمية — وما أخرجنا إلى تعميمها في أساليب تفكيرنا — ثم دفاعاً آخر عن التربية التجريبية ومجالات البحث فيها ، وعن القياس العقلي ، ولا شك أن المؤلفين نجحوا تماماً في دفاعهما .

أما أبواب الكتاب الأخرى فهي تسير حسب مبادئ الإحصاء كمعالجة التوزيع والترعة المركزية ومقاييس التشتت والارتباط والفروق الرباعية والتحليل العاملي .

ولا شك أن كل هذه الموضوعات قد عولجت بطريقة مبسطة ، تفيد طالب التربية وعلم النفس والعلوم الاجتماعية الأخرى أن يلم إلماماً جيداً بمبادئ الإحصاء وقيمتها في مجال اختصاصه ، ولا شك أن هذا التبسيط يدل على قدرة الأستاذين

من مادتهما ومن خبرتهما المكتسبة في تدريس هذه المادة مدة طويلة .
بيد أن الإنسان لا يستطيع إلا أن يفكر أمام بعض الأمور العامة والخاصة في
هذا المؤلف .

نجد أولاً أن الكتاب يكاد يخلو من التمارين والمشاكل ، والواقع أن دراسة
الإحصاء تنوقف على حل أكبر ما يمكن من هذه التمارين ، ونرجو أن يتدارك
المؤلفان هذا المهبوط في الطبعات القادمة .

ونجد ثانياً أن الكتاب ركز جزءاً طيباً على الفروق الرباعية والتحليل العاملي
حسب نظرية ثرستون ، ويلوح للمشتغلين بعلم النفس الآن أن طريقة الفروق
الرباعية ، التي ابتدعها سبيرومان والتي استخدمها القوصي في كشفه عن عامل
الإدراك البصري المكاني K ، لا توازي نتائجها الجهد الذي يبذل في حسابها ،
فضمة طرق أخرى أسهل وأدق منها قد دخلت مجالات البحث العلمي ، وكذلك الحال
في طريقة التحليل العاملي حسب طريقة ثرستون (الطريقة المركزية) ، إذ أنه
أدخلت عليها تعديلات كثيرة ، وليست هي الطريقة الوحيدة في التحليل العاملي
كما أنها ليست الأكثر استعمالاً ، فطرق بيرت Burt المختلفة في التحليل العاملي ،
وكذلك طرق ثرستون الجديدة في التحليل إلى عامل واحد مشترك أو عدة عوامل
مشتركة .

غير أن هذا كله لا يقلل من قيمة مؤلف يدل على نضج فكري واضح ،
وعلى قدرة على التبسيط جدية بالإعجاب ، وقد أبطل مثل هذا المؤلف كل عذر
للمشتغلين بعلم النفس والتربية عن عدم معرفة بالمنهج الإحصائي في مجالاتهم .

الذكاء ومقاييسه — تأليف ركس نايت وترجمة عطية محمود هنا ، ١٢٤ ص . من منشورات
الجمعية المصرية للدراسات النفسية .

هذه محاولة طيبة من الأستاذ عطية هنا ، طيبة في نوع الاختيار لأن مثل هذا
الكتاب يعتبر من الضروريات لطلاب علم النفس نظراً لأن قياس الذكاء الآن
أصبح من الأمور المقررة علمياً وعملياً ، وطيبة من حيث المجهود لأن المترجم معروف
بين المحيطين به بالدقة في الترجمة والأمانة في النقل .

أما الكتاب فممكن أن ينظر إليه من ناحيتين : ناحية التأليف وناحية الترجمة :
أما من ناحية التأليف فترتيب الكتاب فيه شيء من الغرابة إذ يبدأ بنظرية

العاملين ثم يلحقها بماهية الذكاء والتفسيرات الفسيولوجية للذكاء . . . والواقع أن الوضع الطبيعي كان يجب أن يكون العكس ، غير أن الفصل الخاص باختيارات الذكاء طيب ولا بأس به ، إلا أن الكتاب فيه مسحة من الماضي ، وبعيد عن الوضع الأخير لحركة القياس العقلي ، فالكتاب يرجع إلى سنة ١٩٣٤ وثمة تغيرات كثيرة حدثت بعد ذلك الحين .

أما من ناحية الترجمة فإن الكتاب يكاد يحاكي الأصل في دقة التعبير . يضاف إلى ذلك ما بذله المترجم من مجهود في التعليقات وفي إضافة المراجع الأخيرة بالعربية وبالانجليزية والواقع أن ترجمة هذا الكتاب قد سدت فراغاً كبيراً في المكتبة العربية .

علم النفس قديماً وحديثاً : تأليف فرانسيس افلنج ترجمة محمد عماد الدين إسماعيل وعطية محمود هنا ، ٢٠٠ صفحة ، مكتبة النهضة ١٩٤٩ ، منشورات الجمعية المصرية للدراسات النفسية .

إن الترجمة أساس طيب من الأسس التي تبنى عليها أى نهضة علمية فى أى مكان - والكتاب الذى نحن بصدد الآن كتاب يجمع بين تاريخ علم النفس ، ومناهجه المعاصرة ، وتطبيقاته فى المجالات المختلفة . والواقع أن الكتاب على صغر حجمه كتاب جامع . جامع لأنه يفيد فى معرفة تطور العلم وكيف خرج من دائرة العلوم الفلسفية وأصبح علماً مستقلاً بذاته له أسلوبه الخاص ومناهجه ، كما أن له موضوعه الخاص الذى يميزه ، ناهيك بهذه الفصول التطبيقية فى مجالات التربية والصناعة والطب والقانون - ولا شك فى أن المؤلف قد بذل جهداً جباراً فى وضع هذه المجموعة الكبيرة من الانجاهات والأفكار فى هذه الصفحات القليلة . ولعل هذا هو ما يميز المؤلف فى كثير من كتاباته . ولا عجب فى ذلك فإنه قد احتل كرسي علم النفس فى كلية الملك فى جامعة لندن مدة طويلة وعاصر العلم فى نشأته الأولى وفى شبابه ولعل ذلك هو الذى جعله يفرد فصلاً أخيراً فى كتابه عن مستقبل العلم .

هذان من حيث التأليف ، أما الترجمة فقد قام بها كل من الأستاذين عطية محمود هنا ومحمد عماد الدين إسماعيل . وما كان الإنسان يتوقع أن يكون إنتاج كتاب كهذا

إلا من عمل مجموعة من الأفراد — فالخيطون بهما يمكن أن يلمسوا ما يتميز به المترجمان من صفات ساعدتهما في إخراج مثل هذا المؤلف الخليل بمثل هذه الصورة الدقيقة . ولسنا نود أن نتعرض لبعض الشكليات فيما يتعلق ببعض الألفاظ كترجمتها مثلا كلمة Organismal بنفس الكلمة باللغة العربية وكان من الممكن ترجمتها بالمذهب الحيوي أو ترجمة كلمة Compromise بكلمة « حل ناقص » . وكان من الممكن أن نترجم بكلمة « توفيق » . كما ترجمنا كلمة Perception بالإدراك الحسي ولسنا ندرى إذا ما كان هناك إدراك آخر غيره . فقد اصطلح علم النفس في صورة أخيرة على أن كلمة Perception يقصد بها الإدراك فحسب . ولا نود أن نسرد هذه الشكليات فلكل منا وجهة نظره . وطالما أن قاموس العلم لم يحدد بعد فلا نستطيع أن نعلق على مثل هذه الأمور أهمية تذكر .

بيد أن ثمة حقيقة يجب أن تذكر وهي أن المترجمين قد زودوا المؤلف بكثير من التعليقات التي تداركت كثيراً من اللبس والإبهام في الأصل الإنجليزي وأخيراً فلإننا لا نستطيع إلا أن نهني الجمعية المصرية للدراسات النفسية بمثل هذا المنشور الطيب .

أحمد زكي صالح

PUBLICATIONS RECEIVED

- La Psychologie Différentielle.* Par Henri Piéron. (Livre Premier du Traité de Psychologie Appliquée) Presses Universitaires de France, Paris, 1949; Pp. 122.
- Psychologie Expérimentale.* Par R. S. Woodworth. Traduit par André Ombredane et Irène Lézine. Deux Tomes, Pp. 1182. P.U.F., Paris, 1949.
- La Représentation de l'Espace chez l'Enfant.* Par Jean Piaget et Barbel Inhelder, P.U.F., 1949; Pp. 581.
- Self-Determination.* By Zaki Naguib Mahmoud. Government Press, Cairo. 1949; Pp. 177.
- Kwartalnik Psychologiczny.* Tome 3 & 4, 1948.
- Liste de Travaux Scientifiques Publiés au Moyen-Orient.* 3, Mai 1949. Centre de Coopération scientifique, Moyen-Orient. UNESCO. 33, Sh. El Qasr El Ali, Le Caire. Pp. 58.
- Note sur un Petit Manuel de Logique Aristotélico-Thomiste en Arabe.* Par Jacques

- Jomier, Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale. Le Caire, 1949. Pp. 27.
Mind. April 1949.
Journal of Genetic Psychology. Vol. 72 & 73, 1948; 1st Half of Vol. 74, March 1949.
The British Journal of Psychology. September & December 1948.
The International Journal of Psychoanalysis. Vol. XXIX, Part 1, 1948.
Pédagogie. Centre d'Etudes Pédagogiques, 5, Rue de Madrid, Paris.
Psychological Abstracts. Lancaster, Pennsylvania.

الكتب المهداة إلى المجلة

- تاريخ الفلسفة الحديثة : للأستاذ يوسف كرم (دار المعارف بمصر - ١٩٤٩) ٤٥٤ ص .
 إحصاء العلوم للفارابي : للدكتور عثمان أمين (دار الفكر العربي بمصر - ١٩٤٩) ١٤١ ص .
 محاضرات في التربية والتعليم : للأستاذ واصف بارودي - جزءان (المكتبة العصرية صيدا) ١٤٧ ص و ١٨٤ ص .
 مقالات في التربية والتعليم : للأستاذ واصف بارودي (المكتبة العصرية - صيدا) ١٤٨ ص .
 الأعوام الحاسمة - تأليف أوزفالد شبنجلر وترجمة على حسن الطامع (مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٤٩) ٢٧٥ ص .
 نظرية النسبية لألبرت انشتين : للأستاذ محمد عبد الرحمن مرجبا (مطبعة المقطم بمصر) ١٩٤٩ - ٩٣ ص .
 مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية - الجزء الخامس - ١٩٤٨ - ٣٢٣ ص .
 محضر الجلسات - مجمع فؤاد الأول للغة العربية - الانعقاد الخامس - ١٩٤٨ - ٤٦٧ ص .

ملحوظة : نظراً لضيق المكان أرجأنا إلى عدد أكتوبر تكلمة مقال الأستاذ عدنان الذهبي في الرمزية وكذلك أسئلة القراء .

vainqueurs, leur imposaient une période de réclusion et des rites purificateurs. L'idée que la guerre est une souillure n'excluait absolument pas chez eux le culte des héros et les vertus belliqueuses. Au contraire, en lui ôtant son impureté surnaturelle, il semble qu'elle rendait plus pur le courage militaire. Faute de rendre à César ce qui est à César, faute de reconnaître la souillure, nous laissons à l'héroïsme une sorte d'équivoque. Faut-il s'étonner quand on voit, après la dernière guerre mondiale, quelques hommes décorés pour faits d'armes se comporter comme de mauvais citoyens ? Ne pourrions-nous pas, à l'exemple des primitifs, concilier les deux aspects de la valeur militaire, l'impureté de l'acte en soi et la grandeur des héros ? Il suffirait de constater que la notion de justice dont en soutient l'instinct d'agressivité ne doit pas exclure le sentiment de culpabilité, et que ce sentiment ne peut guère trouver sa satisfaction que sur le plan symbolique. Le refouler purement et simplement est un gros danger. Il s'exprimera sous forme de névroses.

Quand à l'héroïsme fondé sur le goût du risque, il peut dégénérer facilement en un mépris des valeurs humaines et une psychose de guerre qui, une fois la paix revenue, prépare de nouveaux conflits.

La guerre est peut-être inévitable, et, quand elle éclate, il en faut bien accepter toutes les nécessités, tous les devoirs. L'exaltation des vertus guerrières est, pour les chefs responsables, un de ces devoirs. L'homme, pour défendre sa patrie, son honneur, ses intérêts, doit accepter de tuer et de mourir. Mais cette acceptation doit laisser intact son équilibre psychologique. Il ne faut pas qu'il reste déchiré entre ses instincts mobilisés et un rationalisme abstrait. Il faut assurer en lui l'harmonie intérieure grâce à une sublimation des tendances. Pour y parvenir, il faut des symboles appropriés. Sentiment de culpabilité qui nous fait accepter la condition humaine dans l'humilité religieuse; esprit de sacrifice qui nous fait offrir notre vie sans la mépriser, telles sont les conditions essentielles du véritable héroïsme. Les symboles qui peuvent convenir à la mentalité moderne seraient la prière et le sacrifice religieux. Peut-être en existe-t-il d'autres. En tout cas, la société elle-même, du point de vue de l'efficacité militaire, ne tire pas plus de profit d'une tendance brutale que d'un instinct sublimé. Il ne s'agit certes pas de ressusciter le "Gott mit uns" mais, bien au contraire, un sentiment d'impureté de la guerre à l'égard de Dieu, ou à l'égard de notre inconscient parfaitement compatible avec l'acceptation réfléchie du devoir militaire. On éviterait peut-être ainsi les renversements de tendances qui entraînent la panique au combat et surtout l'immoralité dans l'après-guerre. Et l'héroïsme guerrier n'en serait que plus utile et plus beau.

Jean Cazeneuve.

conséquence du darwinisme et de sa doctrine de la lutte pour la vie correspond à une théorie évolutionniste très contestable en soi, et, d'autre part, on ne voit pas bien comment les guerres modernes pourraient assurer la survivance des plus aptes, quand les armes modernes frappent au hasard, quand les individus les moins forts sont "réformés" et laissés à l'arrière dans des bureaux. Nietzsche, un instant séduit par cette idée manifestement fautive, finit par l'abandonner, préférant trouver, pour assurer la sélection, des moyens tout pacifiques¹.

Il est vrai, cependant, que la guerre exalte certaines vertus et suscite de magnifiques héros. Elle accoutume l'homme à ne pas attacher à la vie un prix démesuré, elle lui révèle sa situation existentielle sous un jour très réaliste, elle peut ainsi l'éclairer à lui-même. Mais cette "mise en situation" très particulière entraîne-t-elle nécessairement la recherche et la création de valeurs supérieures ? Elle conduit à toutes les exagérations. Elle peut donc favoriser ou bien freiner les aspirations morales. Nietzsche voyait dans "les vraies guerres excluant toute plaisanterie" le meilleur remède contre le nihilisme.² Il oubliait sans doute que la lutte ne donne pas forcément le goût de la lutte; elle peut conduire tout aussi bien à la lassitude, à l'indifférence, au mépris de toute valeur. Sociologiquement, on observe que les grandes guerres sont suivies d'une recrudescence de l'alcoolisme, des divorces, des suicides, des crimes, de l'immoralité en général.

D'ailleurs, l'exaltation guerrière, qui a pu séduire certains théoriciens, est un processus de masse. Elle se rattache donc à la psychologie des foules où Le Bon a décelé un primat de l'inconscient, une aptitude à se laisser guider par des sentiments. C'est pourquoi cette exaltation peut servir n'importe quelle cause. Elle est utile quand elle tourne au profit de la nation; mais elle risque toujours de s'égarer. La foule, dit Le Bon, peut être aussi bien héroïque que criminelle.³ Il ne faut donc pas dire que la guerre est bonne ou mauvaise. Du point de vue psychologique, c'est comme un cadre vide. Tout dépend du contenu que peut y mettre chaque conscience.

Mais la civilisation moderne, ayant intellectualisé et mécanisé la guerre, l'a rendue plus dangereuse pour l'âme qu'elle ne l'a jamais été. Il semble que, pour avoir mis la justice guerrière sur le même plan que la justice pacifique, on ait gâté la seconde. Plus habiles et plus sages étaient donc les primitifs, qui les séparaient l'une de l'autre et qui, avant de fêter les

(1) NIETZSCHE. "La Volonté de Puissance" (Traduction Bianquis. Edition Gallimard) Livre IV, chapitre 2.

(2) NIETZSCHE Ibidem. livre III, chapitre I.

(3) G. Le BON. "Psychologie des Foules" (Alcan, 1896) Page 21.

consentie, est, nous dit Baudoin, un apprentissage du risque¹. On voit quelle est la vertu psychanalytique de ce rite, aussi bien sous ses formes primitives que sous ses formes évoluées. Des unes aux autres, d'ailleurs, la transition est insensible. Le sacrifice, dans nos religions modernes, a pris un sens purement moral et spirituel, mais il conserve une forme visible et tangible, un symbolisme très humain, de sorte que la tendance au risque peut se sublimer et passer, par déplacements successifs, à travers chaque symbole, du plan instinctif jusqu'au plan moral le plus élevé, où elle échappera totalement au principe du "tout ou rien". L'homme primitif, par ses rites souvent étranges, par ses sacrifices assez rudes, réalisait tout de même l'essentiel de cette sublimation. La société moderne semble en ignorer l'urgence. L'homme d'aujourd'hui, ainsi que le constatent tristement les psychanalystes de l'école de Zurich, oublie qu'il a une âme. Il croit pouvoir se fier à la pure raison et se traite lui-même comme une formule mathématique, laissant ses tendances déchaînées sans les sublimer. Car ce n'est pas l'intellect pur et froid, mais le symbolisme religieux qui peut établir un pont entre les régions élevées de la conscience et de l'inconscient collectif. En l'absence d'une méthode rituelle, l'instinct du risque reste chez lui impulsif; il n'est pas mis en rapport vécu avec l'idéal du sacrifice. Aussi bien le véritable héros est-il rare; il est remplacé par le "casse-cou". Car le goût du risque, s'il reste instinctif, ne fait pas l'héroïsme. Il entraîne simplement un certain mépris de la vie, qu'on expose alors aussi bien dans la griserie de la vitesse en auto que dans un juste combat. Il abaisse les valeurs, au lieu de les réhausser. En temps de paix, il s'exprime par ce goût des catastrophes que Baudoin dénonce avec raison et qui appelle inconsciemment une nouvelle guerre. Bref, la nation armée a certes besoin d'utiliser l'instinct du risque. Mais elle a tort de le prendre à l'état brut, sans le sublimer. Elle paraît indifférente à la qualité de l'héroïsme; tout ce qu'elle demande, c'est que l'individu n'hésite pas à sacrifier sa vie. Pourtant elle aura à souffrir de ce manque d'éducation, d'abord parce que la panique est proche de l'agressivité aveugle et parce qu'ici encore les névroses plus ou moins apparentes feraient de la génération d'après-guerre un monde déséquilibré. L'homme doit savoir utiliser la force de ses instincts, mais en la mettant à la hauteur de son idéal, et non pas en se coupant lui-même de son inconscient.

* * *

Les conséquences psychologiques de la guerre dépendent évidemment de ces considérations sur la conduite même du guerrier. Il faut éviter l'idée que la guerre peut améliorer la race par la sélection qu'elle produit. Cette

(1) Ch. BAUDOIN. "L'Âme et l'Action" (Edition du Mont-Blanc-1944) Page 144.

l'homme à sacrifier une partie de soi pour conserver l'autre, que tout acte vital implique un choix, et par conséquent le renoncement à quelque chose de soi, c'est-à-dire, selon son expression, une "autotomie". Les psychanalystes, par d'autres voies, sont arrivés à des conclusions semblables. Madame Maryse Choisy, dans un brillant article sur la genèse de la culpabilité, a insisté sur ce fait que l'homme ne peut réaliser son équilibre intérieur qu'en sacrifiant un élément à un autre, par exemple un désir à un autre, et que le sacrifice est ainsi nécessairement lié à toute création humaine¹. Mais si le sacrifice est naturel, la tendance que nous avons à l'éviter ne l'est pas moins. La vie implique donc bien à la fois l'instinct du risque et l'instinct de sécurité. Or nous avons là un de ces couples antinomiques dont Baudoin a souligné toute l'importance pour la "psychologie des profondeurs". De même que le couple sado-masochiste ou le couple domination-soumission, celui du risque et de la sécurité plonge ses racines dans les régions les plus obscures de l'inconscient. Au niveau du pur instinct, nous savons que l'on passe sans transition d'une tendance à la tendance directement opposée, en vertu du principe que Baudoin appelle le "Tout ou rien". C'est pour la même raison que l'instinct de retraite peut se substituer brusquement à l'instinct combatif si bien étudié par Pierre Bovet. Les stratèges pourraient en tirer d'utiles leçons. Si le soldat, dans la bataille, obéit à un instinct primaire sans le sublimer, s'il reste dans son action impulsive au niveau de l'inconscient animal, il peut se battre comme un lion, mais, tout-à-coup, sa fureur guerrière peut faire place à une peur panique, à un mécanisme de fuite tout aussi impérieux. La figure mythique de la déroute, si souvent décrite par les poètes, est une incarnation de cette apparition du "tout ou rien" dans une armée mue par le seul instinct. Tant que l'homme laisse ses tendances se manifester sur le mode inférieur de l'inconscient instinctif, il est exposé à ces renversements d'action, et passe sans transition d'un pôle à l'autre des couples antithétique de pulsions. On n'échappe aux dangers du "tout ou rien" qu'en sublimant la tendance, en la faisant s'élever sur un plan supérieur au pur instinct.

Mais, une fois encore, devant cette exigence psychique, nous constatons la carence des civilisations modernes. Dans les sociétés primitives l'instinct du risque est sublimé par des rites de sacrifice qui, par leurs symbolismes, l'arrachent à son état inférieur et animal. Tout acte courageux implique l'acceptation d'une certaine mutilation (qu'elle soit d'ordre physique ou moral). Dans le sacrifice propitiatoire, l'homme abandonne une partie de soi pour sauver le reste. Le sacrifice, conçu comme une mutilation

(1) Maryse CHOISY "Genèse de la Culpabilité" In Revue "Psyché". No. 18 Avril-Mai 1948 p. 395-396.

individus. Nous déchaînons les instincts d'agressivité en les rationalisant, pour éviter un conflit dans la conscience morale, mais nous oublions le conflit dans l'inconscient. Celui-ci pouvait être apaisé par les rites purificateurs. Au lieu de chercher des symboles du même genre conformes à notre civilisation, nous traitons l'homme comme un être de pure raison, nous faisons semblant de croire que la notion de justice n'a rien à voir avec les instincts. Nous mobilisons ceux-ci sous le drapeau de la justice, et nous feignons qu'ils n'existent pas. Mais l'acceptation du sang versé n'a été réalisée que dans la conscience morale et rationnelle. La notion de justice est un instinct de défense déguisé en concept; elle n'en est pas la sublimation. On a voulu supprimer le sentiment de culpabilité qui était à l'origine des rites purificateurs, et l'inconscient n'a plus de refuge que dans les névroses.

* * *

On arrive à des conclusions analogues si l'on étudie le second élément de la psychologie du guerrier. En effet, dans une nation mobilisée, il ne s'agit pas simplement, on l'a vu, d'obtenir que les hommes acceptent de tuer les ennemis; il faut aussi qu'ils affrontent le risque de périr eux-mêmes. La résistance à vaincre est probablement plus forte encore. Il faut donc que la soif de justice ou l'instinct d'agressivité soient assez puissants pour étouffer notre instinct de conservation. Il serait difficile de croire que ce résultat puisse être jamais atteint, si l'on n'admettait pas que la tendance naturelle à éviter la mort est, pour ainsi dire, doublée d'une tendance à la braver. Freud ferait appel ici à ce qu'il nomme l'instinct de mort. Mais, outre que cette notion même est fort discutable, elle expliquerait bien plutôt le suicide ou simplement la peur de vivre que l'héroïsme. Guyau est sans doute plus clairvoyant, lorsqu'il montre que la tendance à vivre elle-même suffit, dans certains cas, pour conduire au sacrifice suprême¹. La vie est par essence expansive; elle ne se replie pas sur elle-même, elle va de l'avant, elle implique la lutte, et par conséquent le risque en même temps que la conservation. L'animal expose sa vie pour trouver sa nourriture, c'est-à-dire pour survivre. Sur un plan plus élevé, l'homme tend naturellement à élargir et à embellir son existence, et, pour la conquête d'un idéal, il peut bien affronter les plus grands dangers. Il n'y a rien là que de très naturel, et c'est un développement normal de l'instinct de vie, tel qu'on l'observe à tous ses degrés. On peut donc, dans ces conditions, comme le dit finement Guyau, donner toute sa vie pour un seul instant, comme on peut préférer un seul vers à tout un poème.

Nietzsche a bien vu également que la volonté de puissance porte

(1) J.M. GUYAU. "Esquisse d'une Morale sans Obligation ni Sanction" (1885).

corps. Dans d'autres tribus, les guerriers vainqueurs, pour se purifier et échapper à la menace de démente se font tatouer et répandent dans les incisions des drogues irritantes. L'idée que l'homicide, même dans la guerre, peut provoquer chez son auteur une folie contagieuse et dangereuse pour toute la tribu, est très répandue, en particulier dans l'île Célèbes. Dans beaucoup de régions, en Afrique, en Amérique, en Australie, certaines tribus soumettent leurs guerriers à une période de réclusion, pendant laquelle ils doivent même, parfois, coucher hors du village. Chez les Bantous du Kaviroudo, les reclus doivent se raser la tête. Dans une tribu de Nouvelle-Guinée, c'est seulement après une période de trois jours suivie d'un bain rituel qu'ils peuvent reprendre contact avec leurs concitoyens et sont reçus en triomphateurs.

Il serait facile, et fastidieux sans doute, de multiplier les exemples de ce genre. Si l'on songe, d'une part à l'extrême diffusion de ces pratiques sur tout le globe terrestre, et d'autre part à leur caractère paradoxal (ce sont comme des brimades infligées à ceux que l'on honore en même temps pour leurs faits d'armes), comment ne pas en arriver à penser qu'elles doivent bien répondre à une exigence fondamentale de l'âme humaine, déformée sans doute par les expressions que lui ont données ces primitifs, mais véritable et universelle par sa racine psychologique. En tout cas, les documents ethnographiques prouvent à satiété que, dans ce qu'on a nommé peut-être improprement la mentalité primitive, le guerrier est bien un héros, mais que son acte glorieux lui-même le rend généralement impur. Si le meurtre accompli sous le signe de Mars, est bon du point de vue social et moral, il reste dangereux sur le plan surnaturel, c'est-à-dire dans un domaine qui relève de l'inconscient et non pas de la pensée claire. Toutes les cérémonies purificatoires de ce genre apparaissent donc comme des moyens élaborés par l'inconscient collectif pour sublimer les vertus guerrières, pour rétablir l'harmonie psychique qu'elles risquent de détruire. En particulier, l'idée, acceptée par certaines tribus, que la folie menace le guerrier est une preuve de cette intuition psychologique qui est à la base de plusieurs cérémonies primitives. On dirait que ces peuples se rendent compte des phénomènes pathologiques produits par le passage brutal de la morale de paix à la morale de guerre, et des névroses qui sont inévitables si l'on ne sublime pas les instincts par des symboles adéquats.

Les civilisations modernes ont trouvé plus simple de s'en remettre à la notion tout intellectuelle de justice. Mais celle-ci est abstraite; elle n'a pas la valeur d'un symbole et reste sans effet sur les impulsions de l'inconscient. C'est pourquoi, sans doute, on parle tant du déséquilibre d'après-guerre, non pas seulement dans les relations sociales, mais dans l'intimité des

lure, liée à l'homicide, même en temps de guerre, est importante et instructive. Chez les Kai de Nouvelle-Guinée, les guerriers qui rentrent vainqueurs dans leur village doivent éviter tout contact avec leurs parents. On s'abstient de les toucher et même de toucher les objets dont ils se sont servis. Ils sont impurs parce qu'ils ont tué, et cela ne les empêche pas d'être glorieux. En général, la guerre ne supprime en rien les *tabous* qui frappent l'homicide. La valeur morale du meurtre est transformée; le passage indiqué par Pascal à la morale de guerre s'effectue normalement: c'est juste et bon de tuer l'ennemi. Mais sur le plan du surnaturel, c'est-à-dire sur le plan de l'inconscient, il faut parer aux conséquences néfastes du meurtre, en effacer les traces invisibles, en prévenir les dangers spirituels. Les tabous irrationnels subsistent donc. Il y a plus encore: les hommes, pendant toute la durée de la guerre sont considérés comme exclus du cadre social normal, et certains rites, comparables à des rites de passage, sont nécessaires pour leur permettre de quitter ce cadre et d'y revenir. Frazer écrit très justement: "L'effet général de ces règles est de placer le guerrier, avant comme après la victoire, dans un état de réclusion ou de quarantaine spirituelle identique à celui dans lequel, pour assurer sa propre sécurité, l'homme primitif met ses dieux humains et d'autres personnages dangereux."¹ On observe cette attitude caractéristique chez les noirs d'Australie, chez les Maoris. Dans certaines tribus d'Amérique le guerrier n'a même pas le droit de se toucher lui-même: s'il veut se gratter, il doit se servir d'un bâton. Quant aux plats dans lesquels il a mangé, personne n'oserait les effleurer de la main. Il doit même éviter les chemins battus, afin de ne pas les souiller de ses pas, et de nuire ainsi à tous ceux qui pourraient y marcher après lui. Pour chasser cette impureté consécutive aux actes guerriers, les bains, les ablutions, les jeûnes, l'absorption de certains breuvages désagréables, les onctions, sont pratiqués par beaucoup de peuples. Chez les Basutos, le bain est de rigueur dès le retour du champ de bataille. Ailleurs (et c'est même une pratique fort répandue), on peut se préserver contre la souillure du sang versé en le léchant, soit sur la plaie de la victime, soit sur l'arme qui l'a exterminée. Chez les Thougas, tribu bantoue, où les vertus guerrières sont fort en honneur, les guerriers qui ont eu la chance de tuer des ennemis, doivent se soumettre à des rites purificateurs dans le but très précis d'éviter la folie qui menace tout homme ayant versé le sang d'un autre. Pendant quelques jours, ils restent vêtus d'un vieux costume, ne prennent que de la nourriture froide, parce que leur souillure a de l'affinité avec la chaleur et il faut éviter qu'elle pénètre à l'intérieur du

(1) J.G. FRAZER: "Tabou et les Périls de l'Âme". Edition Geuthner 1927, Page 132.

qui tue justement est en paix avec sa conscience; mais il pourra éprouver par la suite des troubles psychiques dont il ignorera lui-même la cause et qui, pourtant, seront en relation avec cette action même. Il est vrai que les armes modernes, portant la mort à longue distance, peuvent supprimer ces conséquences. L'artilleur ne voit pas toujours le résultat sanglant de son tir, et, comme les névroses s'alimentent de faits tangibles, il lui suffit, lorsqu'il envoie un obus, de n'en pas imaginer les conséquences macabres. Les névroses de meurtre sont plus fréquentes chez les fantassins, chez ceux qui font la lutte corps-à-corps, qui voient couler le sang, et particulièrement chez ceux qui jouaient le rôle ingrat de "nettoyeurs de tranchée". Aucun élément moral n'intervient dans la naissance du complexe. Que le sujet ait ou non la certitude d'accomplir un devoir sacré, de servir sa patrie, cela ne change rien à ce qui se déroulera dans son inconscient. La névrose n'a rien à voir avec le remords, répétons-le. Ce qui peut l'éviter, ce n'est pas un raisonnement, c'est une sublimation de l'instinct. Sublimation et justification sont deux choses différentes. La justification reste au niveau de l'instinct, ou bien elle se situe sur le plan de la conscience claire; elle ne fait pas un pont entre les deux pôles de la psyché. La sublimation, au contraire, déplace l'instinct. Elle emploie pour cela les seuls moyens d'action qui soient efficaces dans l'inconscient, c'est-à-dire des symboles, et non pas des mécanismes réducteurs d'ordre intellectuel et spéculatif. C'est pourquoi la notion pragmatique de justice déclenche l'instinct d'agression, mais elle ne prévient nullement les névroses que la guerre peut provoquer.

Or ceux qu'on appelle les primitifs semblent avoir mieux compris que nous, ainsi qu'il arrive souvent, la nécessité d'une sublimation. Disons plutôt qu'ils l'ont mieux sentie, parce qu'ils n'étaient pas bernés par une illusion intellectualiste, et qu'ils étaient plus attentifs aux besoins de leur inconscient. C'est ce qui explique les rites purificateurs auxquels sont soumis dans beaucoup de pays, les guerriers qui rentrent vainqueurs d'une expédition militaire. Ces primitifs ne pensent pas que l'on puisse passer impunément sans précautions, de la conduite pacifique excluant le meurtre à l'action belliqueuse. Chez eux, l'homicide guerrier est valeureux, héroïque, sans conteste et sans arrière pensée, mais il reste un homicide. Il faut d'abord se prémunir contre les esprits des ennemis qu'on a tués; il faut les apaiser. En Nouvelle-Guinée, chez les Bakana, les hommes, au retour de l'expédition, exécutent une danse rituelle et allument des feux pour chasser les âmes des ennemis morts. Chez les Arunta, il en va de même. A l'île Kiwai, ce n'est pas contre les esprits que les guerriers doivent se protéger, c'est contre la souillure même du sang versé. Cette notion de souil-

Les fonctions psychiques qui élaborent la notion de justice peuvent d'autant plus facilement servir la propagande belliqueuse qu'elles ne se subliment pas, et ne créent jamais un sentiment de culpabilité dans le sujet. Les hommes peuvent avoir dans certains cas conscience de manquer à bien des règles morales; mais ils ne s'estiment jamais injustes. Ils en restent, sur ce point, au niveau de l'instinct, qui réclame la condamnation d'autrui, et jamais celle de soi-même. Cette absence de sublimation en ce qui concerne la notion de justice est voulue par la société. Celle-ci, en effet, selon De Greeff, y trouve son compte: il lui est commode d'agir sur des instincts à l'état brut, sans que la réflexion y vienne mêler des scrupules, des hésitations. Elle veut pouvoir susciter, par des procédés sommaires, des réactions identiques chez tous les individus composant le groupe. "Les réactions purement instinctives, écrit De Greeff, sont facilement nationalisées, et même parfois assimilées à la vie normale la plus haute"¹. En effet, la conclusion qui découle des études expérimentales de l'auteur, c'est que la notion de justice, n'étant pas sublimée, peut servir n'importe quelle cause. Lorsqu'elle est mise au service d'un dessein réellement juste, on ne peut que s'en féliciter, et il est bon alors que le groupe puisse facilement déclencher chez tous ses membres le processus de défense, sans avoir à persuader chacun par de longs raisonnements. D'ailleurs, à côté de cette notion brute, il y a un sentiment de justice très différent, fondé sur des valeurs morales et religieuses, et plus proche de la charité que du talion. Mais ce n'est pas à ce sentiment que la psychologie du guerrier peut avoir affaire. La notion instinctive et agressive de justice est bien plus maniable et efficace pour la société en guerre. Elle n'a pas besoin d'entrer dans l'intimité des consciences; elle veut des réactions automatiques que l'on puisse provoquer comme de simples réflexes.

La notion de justice venant légitimer les instincts agressifs est si peu une sublimation qu'elle ne permet absolument pas d'éviter les névroses. Elle persuade bien le guerrier qu'il est légitime de donner la mort aux ennemis; et pourtant elle ne libère pas son inconscient de la répulsion qu'il éprouve à commettre cette action. C'est pourquoi l'on a pu observer, après les deux dernières guerres, des complications névrotiques particulières qui ne viennent pas seulement de la peur éprouvée, mais de l'acte même de tuer. Il ne s'agit pas d'un remords, d'un sentiment conscient de culpabilité: l'idée même que la guerre est juste suffit à éliminer ces phénomènes d'abréaction morale. Il s'agit d'une réaction instinctive tout à fait primaire, se rattachant sans doute aux obscures interdictions de l'inconscient collectif. L'homme

(1) De Greeff: *Ibidem*, page 45.

guerre définit d'abord l'aptitude de la vie civilisée par la faculté que possède l'homme de transformer ses penchants égoïstes en penchants sociaux sous l'influence de facteurs érotiques; il constate ensuite que très souvent l'individu accepte la civilisation d'une manière purement hypocrite, et il n'a pas de peine à montrer qu'une régression vers l'état instinctif primitif est toujours possible. Mais ce qu'il faut expliquer, et ce qui est moins clair, c'est la consécration, la valeur morale que la société elle-même confère à l'agressivité dans la guerre. L'instinct qu'elle refoule habituellement se trouve alors véritablement sanctifié, et il est vécu comme une vertu par le sujet lui-même. Il peut tuer son voisin et se dire, en reprenant le mot de Pascal: "Je suis un brave et cela est juste".

Il semble que la clé du problème puisse être tirée d'une très belle et très subtile analyse de la notion de justice présentée par De Greeff dans une étude qui, d'ailleurs, n'a nullement pour objet la guerre.¹ Ce criminaliste belge s'est livré à une enquête minutieuse, au moyen de tests imaginés par lui, et il est arrivé à cette conclusion que la notion de justice est un produit de nos instincts de défense et d'agression. Lorsque nous nous en tenons à la connaissance que nous donnent ces instincts, nous faisons d'autrui une entité abstraite, sans personnalité, nous le réduisons à un pur sujet responsable, nous le "jugeons", au lieu de chercher à le comprendre. Les mécanismes réducteurs ainsi élaborés par nos tendances agressives nous conduisent à une notion de justice d'où est exclu tout amour et qui nous permet de rejeter sur les autres la responsabilité de tous nos malheurs. Il n'y a, au fond de cette notion, que la réaction primaire contre l'injustice dont nous nous prétendons victimes. Aussi bien n'y a-t-il pas de justicier plus exigeant que le grand coupable. Au contraire, si nous nous laissons guider par nos instincts de sympathie, nous ne serions jamais tentés de faire entrer nos semblables dans de systèmes de formules qui nous permettent de les déclarer coupables; Nous n'aurions à leur égard qu'une attitude de compréhension, d'amour et de charité. Il n'est donc pas étonnant, que, si nous éliminons toute sympathie à l'égard d'une collectivité, d'une nation, nous soyons amenés à la voir uniquement à travers nos instincts de défense, c'est-à-dire de façon abstraite, mécanique, et à la condamner au nom de cette notion de justice qui est l'expression même des rapports d'hostilité. Il n'y a rien d'hypocrite dans cette attitude: la notion de justice est très cohérente et sincère, dès qu'on traite autrui comme une chose. Il n'est donc pas étonnant que, dans une guerre, les deux parties croient avoir le droit pour elles.

(1) Etienne DE GREEFF: *Les Instincts de Défense et de Sympathie*. Edition P.U.F., Paris, 1947, Pp. 35-70.

* * *

On peut facilement admettre qu'il y ait en l'homme une sorte d'instinct de défense qui le pousse à frapper s'il est attaqué ou menacé: on en trouverait les racines jusque dans l'animalité. On peut même penser que l'instinct va plus loin encore et qu'il entraîne l'individu à attaquer spontanément, parce qu'il y aurait en chaque être un fond naturel d'hostilité contre ses semblables. En tout cas, l'amour de l'homme pour l'homme, son instinct grégaire, sa sociabilité, ses sentiments altruistes ne suffisent pas à rendre compte de tout son comportement social, car, en un autre sens, l'homme est un loup pour l'homme. Hobbes l'a bien vu. Hegel, plus philosophiquement, a montré que l'attitude fondamentale à l'égard d'autrui entraîne la relation du maître à l'esclave. Enfin, Sartre, par une subtile dialectique, a établi que la haine et l'amour sont deux sortes de conduites également naturelles qui découlent du rapport existentiel "pour-autrui"¹

Mais la guerre pose un problème un peu différent, parce qu'elle place le rapport d'hostilité sur le plan collectif, et parce qu'elle lui donne une justification morale. La société paraît alors se démentir elle-même. En effet, dans la vie normale, elle paraît tendre toujours à exalter nos tendances sociales et à effacer ou à brider nos impulsions agressives. A l'intérieur de chaque groupe, l'impératif catégorique "Tu ne tueras point" règne universellement. Or, dans l'état de guerre, c'est la société elle-même qui exige que l'on tue et qui fait de cette exigence une loi morale. Il y a là un renversement de valeurs que Pascal a mis en évidence de façon saisissante et cruelle dans cette pensée bien connue: "Pourquoi me tuez-vous? Eh quoi! Ne demeurez-vous pas de l'autre côté de l'eau? Mon ami si vous demeuriez de ce côté, je serais un assassin, et cela serait injuste de vous tuer de la sorte; mais puisque vous demeurez de l'autre côté, je suis un brave, et cela est juste"²

Tel est le paradoxe de la guerre. On arrivera toujours assez facilement à comprendre que l'homme se laisse guider par un instinct d'agressivité, qu'il se dépouille facilement du vernis que lui a donné la civilisation. Bergson a montré que la nature humaine ne changerait pas, et que le primitif y subsistait en nous, sous la couche de l'éducation, toujours prête à se manifester³. Freud⁴, étudiant plus spécialement le problème de la

(1) Jean Paul SARTRE: *L'Être et le Néant*—Gallimard, Paris 1943. pages 431-484.

(2) PASCAL: *Pensées et Opuscules*, (Edition Brunswicg — Pensée 293)

(3) BERGSON: *Les deux Sources de la Morale et de la Religion* — Alcan, Paris 1923. Pp. 106-107; 133; 169; 293-296.

(4) S. FREUD: *Essais de Psychanalyse*, 4ième Partie.

l'excès. Les sociologues qui ramènent systématiquement les faits historiques à des phénomènes d'ordre économique en éliminant tous les facteurs sentimentaux font preuve d'un esprit qui n'a rien de scientifique. Même si les réactions psychiques sont artificiellement provoquées, elles existent, elles ont leur importance et il faut les expliquer par l'homme lui-même. Toute propagande serait radicalement impuissante s'il n'y avait point dans l'être humain une aptitude naturelle à assumer le risque et à traiter en ennemis quelques uns de ses semblables. Cela revient à dire que la guerre a des fondements psychologiques certains, quelles que puissent être par ailleurs ses causes extérieures. Aussi reste-t-elle, en fin de compte, assez semblable à elle-même, malgré les changements historiques. Si elle est liée à des circonstances matérielles, c'est plutôt par accident que par essence. Partout et toujours, les hommes ont guerroyé. Ce fait doit bien avoir une cause subjective constante, puisque les causes objectives paraissent extrêmement variables et contingentes. Ainsi, chez les populations que l'on convient d'appeler primitives, l'intérêt matériel n'est pas toujours en jeu. Il arrive même que la terre soit considérée comme inaliénable, le vainqueur n'ayant aucunement l'idée que sa victoire pourrait lui donner des droits sur la propriété d'autrui. Il s'agit souvent de venger des offenses personnelles, la mort d'un parent ou les méfaits d'un sorcier. Quant aux "chasseurs de têtes", ils se battent pour enrichir leur macabre collection et s'assurer ainsi la gloire parmi les gens de leur tribu. Partout, c'est toujours la guerre: il faut tuer des ennemis et affronter la mort. Et le problème qui se pose pour le psychologue est toujours le même: pourquoi et comment des hommes exposent-ils leur vie et jugent-ils bon de supprimer celle des autres alors que, dans toutes les sociétés, ces mêmes hommes font par ailleurs tout ce qu'ils peuvent pour assurer leur propre existence et obéissent à des règles morales et sociales très strictes prohibant l'homicide ?

Que l'acceptation d'un risque soit un élément important de la psychologie du guerrier, cela n'est pas douteux; mais plus caractéristique est le processus d'hostilité, car, après tout, on peut faire face au danger en d'autres circonstances, on peut risquer sa vie pour sauver quelqu'un, et l'héroïsme peut fleurir dans la paix. Ce qui est propre à l'état de guerre, c'est le fait que le péril soit affronté par hostilité contre un adversaire collectif. D'autre part, l'idéal d'un bon stratège, ce n'est pas d'exposer ses hommes à la mort, mais plutôt de les protéger, de diminuer leurs risques et d'infliger au contraire les plus lourdes pertes à l'ennemi. Par conséquent, des deux tendances fondamentales que la guerre réveille en nous, c'est sans doute l'hostilité qui est primordiale, et c'est elle qui donne sa teinte particulière à l'autre tendance, à celle qui brave la mort.

pour responsables; ils sont donc plus directement impliqués dans l'aventure qu'ils ne l'ont jamais été. Ils affrontent un risque personnel en acceptant ou en déclanchant un conflit. On est loin de la guerre en dentelles. D'autre part, malgré les progrès de la technique et l'importance croissante des armements, la valeur militaire des combattants conserve tout son prix. L'esprit guerrier est un facteur décisif de la victoire, et cet esprit n'est pas seulement requis de la part de quelques gens du métier; il l'est de toute la nation. Il faut "tenir", et les armes les plus perfectionnées seraient sans effet si les hommes n'avaient pas la ferme volonté de vaincre. Le "moral" des troupes et celui de l'arrière, sous les bombardements, au milieu des privations, fut une préoccupation constante des stratèges durant la dernière guerre. Cela revient à dire que l'on reconnaît le caractère psychologique de la guerre, que les individus composant la nation mobilisée doivent faire preuve, au fond, du même esprit guerrier que les plus antiques et les plus primitifs soldats.

A quoi peuvent se ramener les éléments essentiels du "moral" ? Les spécialistes doivent le savoir, et il suffit de les voir à l'œuvre pour être éclairé sur ce point. Les services de propagande qui ont la charge de veiller sur le moral de la nation mobilisée s'appliquent visiblement à entretenir avant tout l'espoir, la foi en la victoire, mais aussi le sentiment que cette victoire sera difficile, qu'elle ne viendra pas d'elle-même, qu'il faudra la gagner chèrement. La confiance doit être assez grande pour écarter le découragement, mais pas assez pour rendre l'effort inutile. Il s'agit en effet d'amener les individus à accepter des risques, de leur montrer que ces risques sont indispensables et qu'ils seront fructueux. Mais ce n'est là qu'un des buts de la propagande intérieure. Il en est un autre qui n'est pas moins important. Il ne suffit pas que les hommes acceptent de se faire tuer; il faut aussi qu'ils consentent à tuer, qu'ils considèrent comme bonne et souhaitable la mort des adversaires. On doit donc leur prouver que leur cause est juste, que l'ennemi est moralement coupable et mérite leur haine. Autrement dit, deux facteurs psychologiques sont essentiels dans la conduite d'une guerre moderne: l'exaltation du risque et du sacrifice; la justification du mal qu'on doit faire à l'ennemi.

On objectera que ce sont là des motifs de propagande, des moyens artificiels pour faire accepter une lutte qui est, en réalité, d'une nature bien différente. L'héroïsme et la justice, dira-t-on ne sont que des masques. Certes, reconnaissons-le, le goût du risque et la révolte contre l'injustice ne sont pas nécessairement les causes profondes du conflit. Il arrive que ces états psychiques soient développés après coup, pour soutenir une entreprise qui a de tout autres motifs. Mais on a souvent développé cette thèse à

THE EGYPTIAN
JOURNAL OF PSYCHOLOGY

Vol. V

June - September 1949

No. 1

PSYCHOLOGIE DU GUERRIER

Par

Jean Cazeneuve

Maître de Conférences à la Faculté des Lettres
Université Farouk I — Alexandrie.

Si les hommes se battaient uniquement parce qu'ils éprouvent l'envie ou le besoin de combattre, la guerre serait, à coup sûr, un phénomène psychologique. Mais, de plus en plus, les guerres, surtout à l'échelle mondiale, semblent dépasser les hommes. Certains sociologues, même, pensent que leurs causes sont d'ordre purement économique. Fussent-elles d'ailleurs de nature politique, elles pourraient bien encore échapper complètement à l'interprétation psychologique, car les nations se trouvent parfois entraînées dans les conflits par le jeu mécanique de leurs alliances, par leur simple position géographique ou encore par la décision de diplomates irresponsables et de chefs militaires qui, eux, ne voient la guerre que dans les rapports de leurs subordonnés, c'est-à-dire sous une forme abstraite, mathématique, n'ayant plus rien d'humain. Quand aux individus qui vont se battre, leurs désirs, leurs tendances ne comptent pas: ils ne sont que des instruments. La guerre serait comme un cataclysme naturel, et la psychologie n'aurait pas plus à s'en occuper que d'un tremblement de terre ou d'un krack à la bourse. Il en faudrait renvoyer l'étude à l'économie politique et à l'histoire.

Il est vrai que l'évolution des guerres jusqu'au siècle dernier pourrait sembler confirmer ces vues. Mais au vingtième siècle, elles seraient simplistes, à force d'être éloignées du phénomène élémentaire, car les conflits, par certains caractères, tendent à se rapprocher de plus en plus de la guerre primitive. En réalité, plus la lutte armée semble dépasser l'homme, plus elle se ramène à lui. D'abord, les chefs d'état sont juridiquement tenus



شركة ماسحة مصرية للتأمين

واجب الآباء نحو الأبناء

إذا كان الإنسان قادراً على أن يؤمن مستقبل أولاده ولم يفعل
فهو يرتكب في حقهم ذنباً لن يغتفروه له !
وقديماً قالوا :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنتقص القادرين على التمام

تشبه بالوف من سبقك من أهل الحرص والحيلة وبادر
بالتأمين على حياتك اليوم قبل الغد لأن ما تدفعه اليوم في شبابك
قروشاً قليلة تجده غداً في شيخوختك سعادة وفيرة .

شركة الشرق للتأمين

شارع قصر النيل رقم ١٥ بالقاهرة

اشرب



★ لذيذة

★ كبيرة





أكثر شركات الطيران رعاية لمصالحكم



من القاهرة الى :	من الاسكندرية الى :
أثينا ١٧	أثينا ١٦
روما ٣٤	روما ٣٢
بنغازى ١٨.٥	بنغازى ١٦
طرابلس ٣٠.٥	طرابلس ٢٨



الخطوط المصرية للطيران الدولى

٣٧ شارع عبد الخالق ثروت باشا - الملكة فريدة سابقاً

تليفون ٤٢٤٤٦ - ٥٨٥٨٥

مجلة علم النفس

تصدرها جماعة علم النفس التكاملي

المنشأة برعاية المغفور لها الأميرة شيوه كار

ثلاث مرات في السنة (في منتصف يونيو وأكتوبر وفبراير)

رئيس التحرير : الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زيور

سكرتير التحرير : مصطفى سويف ، شارع الجبيني - الدقي - القاهرة

الاشتراك : ٥٠ قرشاً في السنة في مصر و ١٤ شلن في الخارج أو ما يعادل هذه

القيمة في سوريا ولبنان . ترسل الاشتراكات إلى سكرتير التحرير
الأستاذ مصطفى سويف .

الإدارة : الدكتور يوسف مراد ، صاحب مجلة علم النفس ٤٨ شارع الأميرة فادية

(فتحية سابقاً) العجوزة - مدينة الأوقاف - مصر - ت. ٧٨٦٤٢

نمن النسخة ٢٠ قرشاً

THE EGYPTIAN JOURNAL OF PSYCHOLOGY

Issued by the Society of Integrative Psychology

Founded under the Patronage of the Late Princess Chioekiar

JUNE - OCTOBER - FEBRUARY

EDITORS : Youssef Mourad, Docteur ès-lettres ; Mostapha Ziwer M.D.

SECRETARY : Mostapha Ismaï'l Soueif, M. A.

ANNUAL SUBSCR. : Egypt : P. T. 50-Foreign Countries 14.

DIRECTION : Dr. Youssef Mourad, Amira Fadia, al-Agouza, Cairo, Egypt.

اشترك في مجلة

الأديب

- مدرسة حية تشرأحدث النظريات في الأدب العربي
- تطلعك على أهم الأبحاث العلمية في العالم
- تلخص لك آخر الأنباء الثقافية والسياسية
- يساهم في تحريرها أشهر كتاب العالم العربي

بقراءتك شهرياً

للأديب

تتصل فكرباً بجميع العرب في الشرق العربي والمهجر

منشئ المجلة : أليز أديب ص . ب ٨٧٨ بيروت لبنان

مراسل الأديب في مصر : الأستاذ وديع فلسطين

بجريدة القلم - مصر